

هاوي المدرسي

مسئولية العلماء

في عصر الظلمات



دار التيارات الجديدة
بيروت - لبنان



هادي المدرسي

مسؤولية العلماء في عصر الظلمات

دار التيار الجديد
ص . ب . ١٤٦٢
بيروت لبنان

حقوق الطبعة محفوظة

- إسم الكتاب : مسؤولية العلماء في عصر الظلمات
- المؤلف : هادي المدرسي
- الناشر : دار التيار الجديد
- الطبعة الثالثة : ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين
اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم
ولا الضالين .

ما هي مسؤولية العلماء ؟
وما هي حقوقهم ؟
ومن هم العلماء الذين يجب اتباعهم ؟
ومن هم العلماء الذين يجب الابتعاد عنهم وتجنبهم ؟
أي دور يجب أن يؤديه العلماء في هذا العصر ؟

هذه الأسئلة ، وكثير من أمثالها ، مطروحة اليوم على
الساحة ، تنتظر الجواب .
وهذه الكراسة محاولة للإجابة عليها ، بالاستناد على كتاب
الله وسنة رسوله الكريم والأئمة الطاهرين .

ومن الله التوفيق وعليه التكلان

هـ . م

٢٠ / شوال / ١٤٠٠ هـ

قال الله العظيم في كتابه :
﴿ ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات
الى النور ﴾ .
صدق الله العلي العظيم

للعلم رسالة

ورسالته أن يعطي الوعي ، ويحمل الانسان المسئولية .
ومن هنا فان العلم « مقدمة » ، وليس « نتيجة » . وهو
« سبب » وليس « هدفا » .

ولذلك فان الاسلام الذي يعتبر العلم فريضة على كل
مسلم ومسلمة ، ويطالب بالبحث عنه ولو في « الصين »
ويعتبر العلماء أفضل من أنبياء بني اسرائيل ، نراه يصف
العالم الذي لا يعمل بعلمه ، وينسلخ عنه بالكلب فيقول : -

﴿ واتلُ عليهم بآياتنا الذي آتيناه من آياتنا فانسلخ منها ﴾ . .
﴿ فمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ﴾ .
ذلك لأن العلم كالنور الذي هو وسيلة للرؤية . وأية قيمة
للشمعة التي لا تستفيد منها لرؤية الطريق ؟

وأية قيمة للشجرة التي لا تعطيك ثمرة ؟ وأية قيمة للعين
التي لا تبصر بها الحياة ؟ .

يقول عيسى بن مريم (ع) : -

« بحق أقول لكم : إن شر الناس لَرَجُلٌ عَالِمٌ آثر دُنياه على علمه ، فأحبها ، وطلبها ، وجهد عليها ، حتى لو استطاع أن يجعل الناس في حيرة لفعل . وماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس ، وهو لا يبصرها ؟ كذلك لا يغني عن العالم علمه إذا هو لم يعمل به . فتحفظوا من العلماء الكذبة . الذين يخالف قولهم مع فعلهم » .

تحف العقول / ص ٣٧٥

أولاً : مسؤولية العلماء

والسؤال الآن هو : ما هي مسؤولية العلماء ؟
والجواب : إن على العلماء مسؤولية ولتين أساسيتين : -

أولاً - مسؤولية وليتهم تجاه الناس .

ثانياً - مسؤولية وليتهم تجاه الحاكمين .

أما مسؤولية وليتهم تجاه الناس فتتلخص فيما يلي : -

(واحد) تذكير الناس بواجباتهم ، ومسؤولياتهم . .
« فذكر ، إنما أنت مذكر » . يقول الامام الصادق (ع) : -
« ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهونه أن تأتوه
فتؤنبوه وتعظوه ، وتقولوا له قولاً بليغاً » . البحار / ١٠ / ٨٦
(اثنين) التوعية الجماهيرية ، والكشف عن الحقائق وتبيان
الحلال والحرام .

يقول الامام علي (ع) : -

« ما أخذ الله ميثاقاً من أهل الجهل بطلب تبیان العلم ، حتى
أخذ ميثاقاً من أهل العلم ببيان العلم للجهال . لأن العلم

قبل الجهل « البحار / ٢ / ٢٣ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -

« يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ، ينفون عنه تأويل
المبطلين ، وتحريف الغالين ، وانتحال الجاهلين ، كما ينفي
الكير خبث الحديد » رجال الكشي / ٤ .

ثلاثة (زرع الأمل في نفوس الناس .

يقول الامام علي (ع) : -

« ألا أخبركم بالفقيه حقا ؟ انه من لم يقنط الناس من رحمة
الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يؤيسهم من روح
الله ، ولم يرخص في معاصي الله » الوسائل ٨٣٠ / ٤ .

أربعة (العمل من أجل الفقراء والمحرومين ورفع الظلم
عنهم .

يقول الامام علي (ع) : -

« أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة (شبع) ظالم ،
ولا سغب (جوع) مظلوم » نهج البلاغة / ٥٢ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -

« ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة
والشرف ، ولا يرى له في المساكين وضعاً ، فذلك في الدرك

الثالث من النار » البحار ٢ / ١٠٨ .

خمسة) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

يقول الامام الجواد (ع) : -

« والعلماء في أنفسهم خانة ، ان كتموا النصيحة ، ان رأوا
تائها ضالا ، لا يهدونه ، أو ميتا لا يحبونه ، فبئس ما
يصنعون ، لأن الله - تبارك وتعالى - أخذ عليهم الميثاق في
الكتاب ، أن يأمروا بالمعروف وبما أمروا به . . وأن ينهوا عما
نهوا عنه ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ، ولا يتعاونوا على
الاثم والعدوان » الكافي ٨ / ٥٤ .

وأما مسؤولية العلماء تجاه الحكام الظلمة ، فهي
المجاهدة ، والمقاومة ، والمقاتلة .

يقول الله تعالى لنبيه موسى : -

اذهب أنت وأخوك بآياتي ، ولا تنيا في ذكرى . . « اذها الى
فرعون أنه طغى » ٢٠ / ٤٢ - ٤٣ .

ويقول : -

« وقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم » .

ثانيا : صفات العلماء الثائرين

العلماء على أنواع ثلاثة : -

أولا - العلماء الثائرون

ثانيا - العلماء الجامدون

ثالثا - العلماء الفاسقون

فما هي صفات العلماء الثائرين ؟

والجواب : هي كالتالي : -

واحد / التضحية في سبيل الله .

فالعالم الثائر ، لا يخاف الموت ، ولا يرهب القتل .

يقول الامام الحسين (ع) : -

« ولو صبرتم على الأذى ، وتحملتم المؤنة في ذات الله ، كانت أمور الله عليكم ترد . وعنكم تصدر . واليكم ترجع ، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم ، وأسلمتم أمور الله في أيديهم ، يعملون بالشبهات ، ويسIRON في الشهوات ، سلّطهم على ذلك فراركم من الموت ، وإعجابكم بالحياة التي

هي مفارقتكم » تحف العقول / ١٧٢ .

ويقول الامام الجواد (ع) : -

« ان الله جعل في كل من الرسل بقايا من أهل العلم ..
يدعون من ضلّ ، الى الهدى ، ويدعون الى الله ، فأبصرهم ،
فانهم في منزلة رفيعة ، وان أصابتهم من الدنيا ضيعة .
أنهم يحيون - بكتاب الله - الموتى . ويبصرون بنور الله من
العمى . كم قتيل لابلis قد أحياه ؟ وكم من تائه ضال قد
هدوه . يبذلون دمايتهم دون هلكة العباد ، وما أحسن أثرهم
على العباد » الكافي ٥٦/٢ .

اثنين / الشجاعة .

فالعالم الئائر هو رجل شجاع ، لا يخاف غير الله .

يقول الله تعالى : -

﴿ الذين يبلّغون رسالات الله ، ويخشونه ولا يخشون أحدا
ألا الله ، وكفى بالله حسيبا ﴾ ٢٩/٣٣ .

ويقول : -

« انما يخشى الله من عباده العلماء » ٢٨/٣٥ .

وواضح أنّ من يخشى الله وحده لا يهاب ، ولا يخاف . ألا

يقول الحديث القدسي : -

« من خاف الله ، أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله كل شيء » (كلمة الله) .

ثلاثة / التواضع للناس .

فالعالم النائر ، كالشجرة الممتلئة التي كلما ازدادت ثمارا ، ازدادت أغصانها انحناء .

يقول النبي (ص) : -

« من طلب العلم لله ، لم يصب منه بابا الا ازداد به في نفسه ذلًا . وفي الناس تواضعا ، والله خوفا ، وفي الدين اجتهدا ، وذلك الذي ينتفع بالعلم ، فليتعلمه » .

روضة الواعظين / ١١

ويقول النبي عيسى بن مريم (ع) : -

« بحق أقول لكم : إن الزرع ينبت في السهل ، ولا ينبت في الصفا ، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار ، ألم تعلموا أنه من شمخ برأسه الى السقف شجّه ، ومن خفض برأسه عنه ، استظلّ تحته وأكّنه . . وكذلك من لم يتواضع لله خفضه ، ومن تواضع لله رفعه » تحف العقول / ٣٧٥ .

أربعة / الزهد .

فالعالم الثائر زاهد في حطام الدنيا .

يقول النبي (ص) : -

« لا يكون الرجل فقيها حتى لا يبالي أي ثوبه ابتدل . .

وبماذا سدّ فورة الجوع » البحار ٢ / ٤٩ .

خمسة / نفع الآخرين .

فالعالم الثائر يرى نفسه - كما الامام الخميني العظيم - مجرد

خادم للناس .

يقول الامام الباقر (ع) : -

« عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين عابد » .

الكافي ١ / ٣٣

ثالثا : صفات العلماء الفاسقين

العلم كالسلاح ، قد يحمله المؤمن المخلص ، وقد يحمله المنافق الفاسق . فالؤمن يستعمله في نصرته الحق ، والفاسق يستعمله في نصرته الباطل .

فما هي صفات العلماء الفاسقين ؟

والجواب : -

واحد / ترك التوعية .

فالعالم الفاسق ، لا ينشر العلم ولا يقوم بواجب التوعية .

يقول النبي (ص) : -

« من كتم علما نافعا ، ألقمه الله يوم القيامة بلجام من نار »
البحار ٧٨ / ٢ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -

« إن من العلماء من يجب أن يخزن علمه ، ولا يؤخذ عنه
فذاك في الدرك الأول من النار » البحار ١٠٨ / ٢ .

اثنين / حب الدنيا .

فالعالم الفاسق يحب الدنيا ويبحث عنها .

يقول الله تعالى : -

﴿ وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه من آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين ، ولو شئنا رفعناه بها ، ولكنه أخلد الى الأرض وأتبع هواه ﴾ .

١٧٦ - ١٧٥ / ٧

ويقول تعالى : -

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ﴾ ٣٤ / ٩ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -

« اذا رأيتم العالم محبا للدنيا ، فاتهموه على دينكم فان كل محب يحوط ما أحب » .

ويقول الامام الكاظم (ع) : -

« ان الله أوحى لداود : « قل لعبادي لا يجعلوا بيني وبينهم عالما مفتونا بالدنيا ، فيصدهم عن ذكري ، وعن طريق محبتي ومناجاتي ، أولئك قطع الطريق من عبادي » .

تحف العقول / ٢٩٣

ثلاثة / النفاق .

فالعالم الفاسق ، يقول ما يرضي الناس ويعمل ما يعجبه .

يقول النبي (ص) : -

« ويل للذين يجتلبون الدنيا بالدين . يلبسون للناسي جلود الضأن من لين ألسنتهم ، كلامهم أحلى من العسل . . وقلوبهم قلوب الذئاب » البحار ١٧٣/٧٧ .

أربعة / طلب الزعامة .

فالعالم الفاسق يحب الرئاسة والفخفة .

يقول النبي (ص) : -

« من طلب علماً ليصرف (ليوَجَّه) وجوه الناس اليه ، لم يجد ربح الجنة » مكارم الأخلاق / ٥٤١ .

خمسة / التودد الى الأمراء والسلاطين .

يقول الله تعالى : -

﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ، يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ﴾ ٤ / ٥١ - ٥٢ .

يقول النبي (ص) : -

« إياكم وأبواب السلطان وخواشيها ، فان أقربكم من أبواب السلطان وخواشيها ، أبعدكم من الله - تعالى - ومن أثر السلطان على الله - عز وجل - أذهب الله عنه الورع وجعله حيرانا » ثواب الأعمال / ٣١٠ .

ويقول الامام الصادق (ع) : -

« قال رسول الله : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا . قيل : يا رسول الله ، وما دخلوهم في الدنيا ؟ . . قال (ص) « اتباع السلطان ، فاذا فعلوا ذلك فأحذروهم على دينكم » الكافي ٤٢/٢ .

سنة / السكوت عن الحق .

فالعالم الفاسق لا يهتم ما يجري على الساحة .

يقول الامام الحسين (ع) : -

« اعتبروا - أيها الناس - بما وعظ الله به أوليائه ، من سوء ثنائه على الأخبار ، اذ يقول : ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأخبار عن قولهم الاثم ﴾ وقال ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل ﴾ الى قوله : ﴿ لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وانما عاب الله ذلك عليهم ، لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين

أظهرهم ، المنكر والفساد ، فلا ينهونهم عن ذلك ، رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون ، والله يقول : ﴿ فلا تخشوا الناس وأخشون ﴾ تحف العقول ١٧١ .

سبعة / بث التفرقة .

فالعالم الفاسق يحب التفرقة ويبث الخلافات .

يقول الله تعالى : -

﴿ وما تفرّقوا إلا من بعدما جائهم العلم ، بغيا بينهم ﴾ ١٤ / ٤٢ .

يقول الامام علي (ع) في وصف علماء السوء : -

« ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام ، فيحكم فيها برأيه ، ثم ترد القضية بعينها على غيره ، فيحكم فيها بخلافه ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آرائهم جميعا ، وآلهم واحد ونيّهم واحد ، وكتابهم واحد » .

« أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه ؟ أم نهاهم عنه فعصوه ؟ » نهج البلاغة ٧٤ / .

ثمانية / ممارسة الفسق .

فالعالم الفاسق ، لا ورع له .

يقول الامام علي (ع) :-

« آياكم والجهال من المتعبدین ، والفجار من العلماء ..

فانهم فتنة كل مفتون » البحار ٢ / ١٠٦ .

ويقول (ع) :-

« قصم ظهري رجلان من الدنيا : رجل عليم اللسان

فاسق ، ورجل جاهل القلب ناسك ، فاتقوا الفاسق من

العلماء فاني سمعت رسول الله (ص) يقول :- « هلاك أمتي

على يدي كل منافق عليم اللسان » روضة الواعظين / ٦ .

ويقول الامام الصادق (ع) :-

« ان في جهنم رحى تطحن خمسا ، أفلا تسألوني ما طحنها ؟

.. ف قيل له : وما طحنها ؟ قال : العلماء الفجرة ، والقراء

الفسقة ، والجبابة الظلمة ، والوزراء الخونة ، والعرفاء

الكذبة » الخصال ٢ / ١٤٢ .

وقد قيل للنبي (ص) :-

« أي الناس شر ؟ فقال : العلماء اذا فسدوا » .

تحف العقول / ٣١

تلك كانت صفات العلماء ، الثائرين منهم ، والفاسقين .. فما هو الموقف المطلوب تجاه كل فريق منهم ؟ .

والجواب ..

لقد أوجز رسول الله (ص) هذا الموقف بقوله : -

« لا تجلسوا عند كل داع مدع ، يدعوكم من اليقين الى الشك . ومن الاخلاص الى الرياء ، ومن التواضع الى الكبر ومن النصيحة الى العداوة ، ومن الزهد الى الرغبة .

« وتقربوا الى عالم يدعوكم من الكبر الى التواضع ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الشك الى اليقين ، ومن الرغبة الى الزهد ، ومن العداوة الى النصيحة » البحار ٥٢/٢ .

وبكلمة :

ان الموقف اللازم تجاه العلماء الثائرين هو اطاعتهم ، والسير على خطاهم .

اما الموقف تجاه العلماء الجامدين فهو تركهم والابتعاد عنهم .

واما الموقف تجاه العلماء الفاسقين فهو فضحهم . ومجاہبتهم لئلا يضلوا عباد الله تعالى .

الفهرست

- للعلم رسالة ٦
اولا : مسؤولية العلماء ٨
ثانيا : صفات العلماء الثائرين ١١
واحد : التضحية في سبيل الله ١١
اثنين : الشجاعة ١٢
ثلاثة : التواضع للناس ١٣
اربعة : الزهد ١٤
خمسة : نفع الآخرين ١٤
ثالثا : صفات الفاسقين ١٥
واحد : ترك التوعية ١٥
اثنين : حب الدنيا ١٦
ثلاثة : النفاق ١٧
اربعة : طلب الزعامة ١٧
خمسة : التودد الى الامراء والسلاطين ١٧

- ١٨..... ستة : السكوت عن الحق
- ١٩..... سبعة : بث التفرقة
- ٢٠..... ثمانية : ممارسة الفسق
- ٢١..... كلمة